

شرح رياض الصالحين

55- باب فضل الزهد في الدنيا والحثّ عَلَى التَّقَلُّلِ مِنْهَا وَفَضْلُ الْفَقْرِ

قال سَمَاحَةُ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ - رَحِمَهُ اللهُ -:

قال المَوْئَلَّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: باب فضل الزهد في الدنيا، والحث على التقلل منها، وفضل الفقراء.

الدنيا: هي حياتنا هذه التي نعيش فيها، وسميت دنيا؛ لسببين:

السبب الأول: أنها أدنى من الآخرة؛ لأنها قبلها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: 4].

والثاني: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة.

وذكر المؤلف رحمه الله آياتٍ عديدة كلها تفيد أنه لا ينبغي للعاقل أن يركنَ إلى الدنيا، أو يغترَّ بها، أو يلهو بها عن الآخرة، أو تكون مانعًا له من ذكر الله عزَّ وجلَّ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24].

فهذه هي الدنيا، وإنما ضرب الله هذا المثل لنلنا نغترَّ بها، فقال: ﴿ كَذَلِكَ ﴾ [يونس: 24] يعني: مثل هذا التفصيل والتبيين ﴿ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: 24] لمن عندهم تفكير في الأمور، ونظر في العواقب.

ثم قال: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [يونس: 25]؛ أي فرق بين هذه وهذه، دار السلام هي الجنة – أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها – دار السلام، وسميت كذلك؛ لأنها سالمة من كل كدر، ومن كل تنغيص، ومن كل أذى.

لما ذكر الدنيا قال: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾، فإلى أيهما تركز أيها العاقل؟

لا شك أن العاقل يركن إلى دار السلام، ولا تهمة دارُ الفناء والنكد والتنغيص، فهو سبحانه وتعالى يدعو كلَّ الخلق إلى دار السلام ﴿ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: 25].

والعاقِل إذا قرأ القرآن وتبصَّر، عرَف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر ماذا زرعت فيها لآخرتك؟ إن كنتَ زرعتَ خيرًا، فأبشِرُ بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر بالعكس، فقد خسرتَ الدنيا والآخرة.